كنيسة آيا صوفيا أهم الآثار المورثة من العصر البيزنطى
دراسة تاريخية أثرية فنية

رحاب محمد عطية بنداري1
rehabmohamedattia@gmail.com

الملخص

أنشئت القسطنطينية لتكون عاصمة الروم الشرقية ومع انشأنها عام 330م اتخذت المسيحية الديانة الرسمية لها. فنشأت روما الجديدة تباين روما القديمة التي كانت لا تزال متعلقة بشعائرها وعاداتها الوثنية. أقام بها الإمبراطور قسطنطين العظيم العديد من الكنائس، وعلى رأس تلك الكنائس جاءت الكنيسة الكبرى(اول بناء على موقع مبنى آيا صوفيا الحالى)وانتهت في عام 360 م في عهد الإمبراطور قسطنطين الثاني .فيمكن القول ان تاريخ آيا صوفيا يبدا مع تاريخ القسطنطينية والامبراطورية البيزنطية.وشيد الامبراطور البيزنطى جستنيان المبنى الحالى لآيا صوفيا عام 532-537م.فجاء البناء عظيم قيل انه غير تاريخ العمارة يهدف هذا البحث إلى التعريف بتاريخ هذا البناء العظيم الشاهد على حضارة وانتصارات وسقوط امبراطوريات عظمى، واتبع البحث المنهج التاريخى الوصفى حيث تناول تاريخ آيا صوفيا فى العصر البيزنطى ووصفا معماريا وزخرفيا لها فقد اعتبر مبنى آياصوفيا جوهرة العمارة البيزنطية. كانت أهم مبنى في العالم المسيحي الشرقي، مقرا لبطريركية القسطنطينية .وكذلك الكنيسة المركزية للأباطرة البيزنطيين، وكانت تجري فيها مراسم تتويج الأباطرة،وأصبحت الكاتدرائية رمزا لجبروت الإمبراطورية البيزنطية. وبعد انقسام الكنيسة المسيحية عام 1054 م ، اصبحت مقر البطريرك الأرثوذكسي، نظيراً للبابا الروماني الكاثوليكي. وأصبحت كاتدرائية آيا صوفيا

1 باحث دكتوراة إرشاد سياحى،كلية السياحة والفنادق،جامعة قناة السويس،الإسماعيلية.

الكنسية الرئيسية ليس فقط للإمبراطورية البيزنطية، بل ولجميع الأرثوذوكس في العالم. وظلت آيا صوفيا أكبر كاتدرائية مسيحية في العالم لما يقرب من ألف عام حتى بناء كاتدرائية إشبيلية في عام 1520م.

المقدمة:

عام 395م انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين ،الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما ولغتها اللاتينيه وتتبع المذهب المسيحى الكاثوليكى،والإمبراطورية الرومانية الشرقية (التى سميت بالإمبراطورية البيزنطية) نسبة إلى بيزنطة(القسطنطينية قديما) وعاصمتها القسطنطينية ولغتها اليونانية وتتبع المذهب المسيحى الأرثوذكسي.ومن هنا جاءت أهمية آيا صوفيا فهى تعد رمزاً ثقافيا ومعماريا وأيقونة للحضارة البيزنطية والحضارة المسيحية الأرثوذكسية.

شيد مبنى آيا صوفيا الحالى الامبراطور البيزنطى جستنيان فى مدينة القسطنطينية فى نفس الموقع الذى كان يشغله فى اول الأمر كنيسة افتتحها قسطنطين الثانى سنة 360م وبعد أن احترقت سنة 404م جراء تمرد وعصيان بيزنطى، شيد مكانها ثيودوسيوس الثانى كنيسة اخرى فى سنة 415م ولما احترقت هى الاخرى فى سنة 532م، شيد مكانها جستنيان فى السنة نفسها آيا صوفيا وتم البناء فى سنة 537م. والصرح القائم في يومنا هذا هو الصرح الذي بني في المرة الثالثة وقد طالت مدة بنائه منذ 532 إلى 537م أي خمس سنوات متتالية دون الانتهاء من الزخارف. ثم تحول إلى كاتدرائية رومانية كاثوليكية بعد الحملة الصليبية الرابعة 1204م ورجع كاتدرائية للبطريركية المسيحية الأرثوذكسية عام 1261م استعادة السيطرة البيزنطية على القسطنطينية ، وبعد فتح القسطنطينية عام 1453م

تحول إلى مسجد عثماني، وبعد قيام الجمهورية التركية تحول إلى متحف علماني1934م، وأخيرا أُعلن عن إعادته مسجداً اعتباراً من 24 يوليو عام 2020م، بعد إصدار حكم المحكمة الإدارية العليا بتركيا بذلك.

تاريخ آيا صوفيا فى العصر البيزنطى[2]

[2] أغيا صوفيا: باليوناني القديم والحديث (Αγία Σοφία)تعني "الحكمة المقدسة" –ولا يوجد أي دليل علمي يثبت أن هذه الكنيسة سميت على اسم قديسة مصرية عاشت في القرن الثاني الميلادي– واصطلاح "الحكمة" على وجه الخصوص ذكر في رسائل بولس الرسول كاسم من أسماء المسيح، وفي العهد القديم في الفصل الثامن لكتاب الأمثال :" "Proverbsذُكرت الكلمة بدلالة محددة وهي "تجسيد الرب"؛ وهو الأمر الذي فسره آباء الكنيسة الأوائل بعد ذلك بأنه "نبوءة" لقدوم المسيح في العهد القديم. للمزيد انظر:

Downey D., "The Name of the Church of St. Sophia of Constantinople", Harvard Theological Review 52 (1959), pp. 37-42.

وقد ذكر أن آيا صوفيا هى قديسة قبطية من مصر، وتحديداً من البدرشين – أحد مراكز محافظة الجيزة جنوب القاهرة – كانت تعبد الأوثان في بداية حياتها، ولكنها تعرّفت بنساء مسيحيات من جيرانها، فاعتنقت المسيحية وتعمقت في العبادة: صلاة وصوماً ومعرفة، فذاع صيتها الديني، وسمع بأخبارها الحاكم الوثني أقلوديوس فقبض عليها وحاكمها بتهمة الكفر بعبادة الأوثان، وحاول إبعادها عن المسيحية بكل وسيلة ممكنة؛ ولكنه فشل، فقام بضربها بالسياط، ومن ثم كيّها بالنار، وأخيراً أمرّ بقطع رأسها، فأصبحت آيا صوفيا شهيدة دينها المسيحي، وقامت إحدى النساء بالاحتفاظ بجسد آيا صوفيا بعد أن رشت جنود الحاكم الوثني بالمال، وقامت السيدة بلف الجسد بالأقمشة الثمينة، واحتفظت به في بيتها.ومع مرور الزمن، استغل الوجدان الشعبي هذه القصة الغريبة لجسد القديسة آيا صوفيا، فكثرت الأحاديث والقصص حول معجزات الجسد الملفوف،مثل إشعاعه للنور، وإفرازه لروائح عطرية ذكية .. إلخ. وهذه القصص تضخمت مع انتقالها من بلد إلى آخر، حتى وصلت إلى الأمبراطور البيزنطي قسطنطين الأكبر – وكذلك إلى الملكة هيلانة زوجة القيصر الروسي – فأمر الأمبراطور بنقل جسد القديسة إلى مدينته القسطنطينية، حيث==

يقع مبنى آيا صوفيا على الضفة الأوروبية في مدينة إسطنبول، ويعتبر ابرز معالم مدينة إسطنبول(القسطنطينية).وقد احتلت القسطنطينية موقعا عظيم كان له أهمية كبير فى تاريخها السياسى والعسكرى والاقتصادى. وذلك بوقوعها عند التقاء القارتين أوربا وآسيا، ويحدها البوسفور من جهة الشرق ، والقرن الذهبى من جهة الشمال،[3]وبحر مرمرة في الجنوب، ولا يمكن الوصول إليها براً إلا من جهة واحدة. وأيضا إلى ذلك أن العاصمة مركزا استراتجيا بالغ الأهمية، إذ أنها تحكمت في

=دفنه وبنى حوله كنيسة ضخمة عام 360م – بأموال الملكة هيلانة الخاصة – تكريماً للشهيدة صاحبة الجسد الطاهر، وأصبحت هذه الكنيسة كاتدرائية ومقراً لبطريركية القسطنطينية.

وهناك قصة أخرى – أقل انتشاراً من السابقة – تقول إن آيا صوفيا امرأة لثلاث بنات صغيرات – أسمائهن: الإيمان، والرجاء، والمحبة – اعتنقت المسيحية وذاع خبر ورعها وتدينها في عصر عبادة الأوثان بروما، فقام الحاكم أوريانوس بتعذيبها، ومن ثم ذبح بناتها الثلاث أمامها الواحدة تلو الأخرى، ورغم ذلك تمسكت بدينها المسيحي، فقام الحاكم بقتلها، فأصبحت شهيدة دينها، ومن ثم دفنت، وبنيت لها الكنيسة ... إلخ ما سبق ذكره. ومن وجهة نظري أرى أن هذه القصة مختلقة، قام بتأليفها مؤرخو الغرب لإبعاد أية قيمة دينية عن الشرق، باعتبار القديسة آيا صوفيا مصرية

سيد علي إسماعيل ، آيا صوفيا الكنيسة .. المسجد .. المتحف، مجلة تراث الإماراتية – عدد 132 – سبتمبر 2010 – ص52

ابن بطوطة،تحفة النظارفى غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، د.ت،ص234

[3] اكتسب ميناء القسطنطينية إسم القرن الذهبى لأن الانحاء الذى يرسمه يمكن تشبيهه بقرن الغزال،ولفظ ذهبى يعبر عن الثروة التى تدفقت علىالمدينة من أقصى الأرض ثغر المدينة الواسع الامن، لأن الميناء كان واسعا ومناسبا جدا لعميلة الشحن والتفريغ .

سعيد عمران،الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها،ط1،دار النهضة،بيروت،لبنان،2002،ص29

المواصلات بين أوربا وآسيا ،وفى الطريق البحرى بين بحر الأرخبيل[4] والبحر الأسود، ولم تلبث أن أصبحت أهم مركز للتجارة العالمية.[5]

بنيت آيا صوفيا فى نفس الموقع الذى كان يشغله كنيستين سابقتين

الكنيسة الأولى

كنيسة قسطنطين الثانى عام 360م

عرفت باسم الكنيسة الكبيرة بسبب أبعادها الكبيرة مقارنة بالكنائس المعاصرة لها في المدينة.و تشير وثيقة تعود إلى القرن السابع أو الثامن، إلى أن الكنيسة العظيمة او الكبيرة بناها قسطنطين العظيم.[6] وافتتحت الكنيسة في 15 فبراير عام 360م في عهد قسطنطين الثاني. [7]عام 404م دخل بطريرك القسطنطينية (يوحنا ذهبي الفم) في صراع مع الإمبراطورة إيليا يودوكسيا، زوجة الإمبراطور آركاديوس، مما أدى إلى نفيه. وخلال أعمال الشغب اللاحقة بهذه الاحداث، أُحرقت

---

[4] الاسم التاريخي لبحر إيجة

[5] السيد البازالعرينى ،الدولة البيزنطية323-1081هـ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت د.س،ص30

محمود سعيد عمران،الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص29-30

Maurice,J.,: LesOrigines de Constantinople,p.282-292

[6]Ljudmila Djukic, "Hagia Sophia (Constantinople)", ،The Byzantine Empire: A Historical Encyclopedia P195

[7] قسطنطين الثاني (Constantine II) (316-337م) إمبراطور الأمبراطورية الرومانية (337-340م) امبراطور بلاد الغال وبريطانيا وإسبانيا. وابن قسطنطين الأول

هذه الكنيسة الأولى إلى حد كبير،اثر اندلاع النيران فيها. ولم يبق شيء من آثار الكنيسة الأولى اليوم.[8]

الكنيسة الثانية

كنيسة ثيودوسيوس الثانى عام 415م

بعد حرق الكنيسة الأولى، بنيت كنيسة ثانية في نفس الموقع من قبل ثيودوسيوس الثاني[9]، والذي أشرف على افتتاحها في 10 أكتوبر عام 415م. وخلال اضطراب ثورة نيقا اندلع حريق وأُحرقت كنيسة آيا صوفيا الثانية في يومي 13 و14 يناير من عام 532 م. [10] كشفت حفائر أثرية خلال منتصف ثلاثينيات القرن

[8] محمود السيد الدغيم،جريدة الحياة،العدد16256-أكتوبر-2007م،ص12
محمود السيد الدغيم،مدينة استنبول،ط1-منشورات آند-1984م،ص2

[9] وعرف بإسم ثيودوسيوس الأصغروأصبح إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة). بين 408 و450م

[10] كانت اكبر فتنة فى عهد جستنيان هى التى حدثت 532م وعرفت بثورة نيقيا (Nika)اى النصربالیونانية،وكان سببها أن الخضر والزرق وهم _الحزبان اللذان انقسم إليهما أهل القسطنطينية حسب الثياب التى كان يلبس راكبو خيول السباق _قد بلغت الخصومة بينهم حد العنف ، حتى أصبحت شوارع العاصمة غير مأمونة وحتى اضطر الأغنياء إلى أنيرتدوا ملابس الفقراء المساكين لينجوا بذلك منطعنات الخناجر ليلا.وانقضت الحكومة أخر الأمر على الطائفتين المتنازعتين، وقبضت على عدد كبيرمن زعمائهما، فما كان من هذين الحزبين إلا أن ضما صفوفهما وقاما بفتنة مسلحة ضد الحكومة وحاول رعاع المدينة ان يقلوبها ثورة عارمة ، فهجموا على السجون، وأطلقوا سراح المسجونين، وقتلوا عددا من رجال الشرطة والموظفين، وأشعلت النار فى بعض المبانى،وحرقت كنيسة آيا صوفيا وأجزاء من قصر الإمبراطور.
ول ديورانت، قصة الحضارة، ج1،عصر الايمان،الدولة البيزنطية فى أوج مجدها ،ص211،212
اسمت غنيم ،امبراطورية جستنيان،مطبعة عابدين، القاهرة، 1997،ص22

العشرين عن البقايا الغربية للمبنى الثيودوسي ، في المنطقة التي كانت ذات يوم فناء للكنيسة الجستنيانية في القرن السادس عن المدخل الغربي الضخم، إلى جانب الأعمدة والبقايا النحتية من كل من كنائس القرنين الرابع والخامس. توقفت عملية الحفر خوفًا من التأثير على سلامة المبنى الجستنياني الحالي، لكن أجزاء من خنادق الحفر لا تزال مكشوفة، مما يبرز أسس مبنى ثيودوسيوس الثاني.[11] ولا تزال العديد من الكتل الرخامية للكنيسة الثانية باقية حتى الوقت الحاضر؛ من بينها نقوش تصور 12 خاروفًا يمثلون رسل المسيح الاثنا عشر؛ و كان لكنيسة ثيودوسيوس الثاني فسيفساء أرضية ملونة ونحت زخرفي خارجي.[12]

ومثلت آيا صوفيا الكنيسة الشرقية الرومانية الارثوذكسية المناهضة للكنيسة الغربية فى الفاتيكان،[13] ذلك بعد الانشقاق المسيحى الكبير عام 1054م.[14] والذى

[11] Dark, Ken R.; Kostenec,. Hagia Sophia in Context: An Archaeological Re-examination of the Cathedral of Byzantine Constantinople (Oxford) Oxbow Books. Jan,2019, p15-20

[12] Mainstone, Rowland J.. Hagia Sophia: Architecture, Structure and Liturgy of Justinian's Great Church p135

[13] الفاتيكان، معروفة رسميًا باسم دولة مدينة الفاتيكان (بالإيطالية: Stato della Città del Vaticano)، هي أصغر دولة من حيث المساحة في العالم وثالث أصغر دولة في العالم من حيث عدد السكان،وتقع في قلب مدينة روما عاصمة إيطاليا التي تحيط بها من جميع الاتجاهات ويفصلها عنها أسوار خاصة .وتستقي أهميتها من كونها مركز القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية في العالم. وقد استمدت اسمها من إحدى الهضاب الصغيرة كانت تسمى الفاتيكان اكتسبت هضبة الفاتيكان أهميتها، ومن ثم دورها كعاصمة للكنيسة الكاثوليكية، من كون التقاليد المسيحية قد نقلت أن الهضبة كانت الموقع الذي شهد صلب القديس بطرس عام 67 م ضمن حملة اضطهادات واسعة قادها الإمبراطور نيرون على المسيحيين، وكان المعتقد أن القديس بطرس قد دفن في قبر====

=صغير أسفل الهضبة؛ هذه االاعتقادات تمّ تأكيدها من خلال المزار القديم للقديس بطرس الذي كان مقاماً في الهضبة، وحديثًا من خلال البحوث والتنقيبات الأثرية .بنيت على هضبة الفاتيكان كنيسة صغيرة على اسم القديس بطرس ومن ثم بنيت كاتدرائية القديس بطرس عام 1506م. وعلى الرغم من كون روما المقر الدائم للبابوية إلا أن البابوات قبل القرن الرابع عشر كانوا قد اتخذوا من قصر لاتران في المدينة مركزًا لهم، ولم تتجه الأنظار نحو الفاتيكان إلا في أعقاب الانتهاء من انشقاق أفينغون، حيث انتقل البابوات ومعهم قيادة الكنيسة إلى الفاتيكان، وشيّد هناك خلال عصر النهضة سلسلة من المباني والمتاحف إلى جانب القصر البابوي والحدائق البابوية وعدد من المباني الأخرى.والفاتيكان هي الدولة الوحيدة المدرجة بكاملها على لائحة اليونيسكو كإحدى مواقع التراث العالمي.

جان نوفسل،دولة الفاتيكان، نقله إلى العربية مخائيل الرجي، دار مكشوف، بيروت 1966، ص.12،23،16

محمد قصاص، الفاتيكان وروما المسيحية، دار طلاس للنشر، دمشق 1992، ص.21

[14] سبق الانشقاق العظيم الذي وقع بشكل رسمي في العام 1054م، العديد من الخلافات الكنسيّة والنزاعات اللاهوتية بين الشرق االمسيحى والغرب االمسيحى. التي انقسمت إلى ما أصبح يعرف الآن باسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة الشرقية الأرثوذكسية .كان من بين هذه الخلافات البارزة مسألة انبثاق الروح القدس. وكان السبب الرئيسى للنزاعات التى أدت للانشقاق هو الخلاف حول قرار البابا ليو التاسع، والذى طالب بأن يكون له سلطة على البطاركة اليونان الأربع فى الشرق، وأيضا رغبة الغربيين بإضافة عبارة على قانون الإيمان النيقاوى حول انبثاق الروح القدس من الابن أيضا إضافة للآب. فى عام 1053 م، اتخذت الخطوة الأولى فى العملية التى أدت إلى الانقسام الرسمي: اضطرت الكنائس اليونانية فى جنوب إيطاليا إما إلى الإغلاق أو الامتثال= =للممارسات اللاتينية، ردا على ذلك، أمر البطريرك المسكونى للقسطنطينية مايكل الأول سيروليوس بإغلاق جميع الكنائس اللاتينية فى القسطنطينية. فى هذه الأثناء، كان البابا لاون التاسع قد توفى من دون أن يكون نبأ وفاته قد بلغ القسطنطينية. وفى السادس عشر من شهر يوليوعام 1054م ، أقيم احتفال كبير فى كبرى كنائس القسطنطينية «آيا صوفيا» حضره كبار رجال الكنيسة والدولة، وعلى رأسهم الامبراطور البيزنطي. فدخل الوفد البابوى الكنيسة، وألقى الكردينال هومبرت خطاباً ندد فيه بتمرد البطريرك على سلطة البابا، ثم وضع على الهيكل الكبير صك=

سبقه الانشقاق الذى حصل فى مجمع خلقدونية سنة 451م.[15] وبدأ التنافس بين الكنيستين الشرقية والغربية مما أعطى آيا صوفيا المزيد من الاهتمام البيزنطى إذ أصبحت رمزا مقدسا بالنسبة للروم الأرثوذكس بكل معنى الكلمة.

مرت الكنيسة بسلسة من الزلازل وتعرضت لأعمال الشغب إذ دمرت واحرقت فى عام 515م قام الإمبراطور ثيودسيوس الثانى ببنائها بسبب ما احدثته

=الحرمان الخاص بالبطريرك، وانسحب. وبعد أيام قليلة، عقد البطريرك كيرلاريوس مجمعاً كنسياً فى القسطنطينية، صدر عنه صك حرمان الغربيين جميعاً، وعلى رأسهم بابا رومة. وكان مما صعب عملية المصالحة الحروب الصليبية التي قادها الفرع اللاتيني، ومذبحة المسيحيين اللاتينيين في القسطنطينية عام 1182م، والاستيلاء على القسطنطينية ونهبها في الحملة الصليبية الرابعة عام 1204م

Axel Bayer, Spaltung der Christenheit. Das sogennante Morgenländische Schisma von 1054,p80

Great Schism ،Oxford Dictionary of the Christian Church، Oxford University Press,2010

Martin Lembke, Meetings with the World's Religions (lecture) ،Lund University: Centre for Theology and Religious Studies،2010

[15] مجمع الخلقدونية هو المجمع المسكوني الرابع للكنيسة المسيحية بدعوة من الإمبراطور مارقيان. انعقد المجمع في خلقيدون في بيثينيا (تسمى اليوم قاضي كوي في تركيا) من 8 أكتوبر إلى 1 نوفمبر 451م. كان هذا المجمع الذي حضره 520 أسقفًا أو ممثلين عنهم الأكبر والأكثر توثيقًا من بين المجامع المسكونية السبعة الأولى. إذ نجم عن هذا المجمع انشقاق أدى إلى ابتعاد الكنائس المشرقية (القبطية والأرمنية والسريانية) عن الشراكة مع الكنيستين الرومانيّة والبيزنطيّة

الاب ف.سى.صموئيل،مجمع الخلقدونية،إعادة فحص،بحث تاريخى ولاهوتى،ترجمة عماد موريس،مراجعة جوزيف فلتس.

الزلازل من الخراب فيها، إلا أنها دمرت واحترقت مرة الاخرى فى سنة 532م،فقرر الإمبراطور جستنيان[16] بنائها للمرة الثالثة.[17]

مبنى آيا صوفيا الحالى

كنيسة جستنيان(532 – 537م)

اراد جستنيان ان يجعل عاصمة ملكه اجمل من روما ،وأن يقيم فيها كنيسة لا يدانيها صرح آخر فى العالم كله.[18] فبدأ فى بناء كنيسة آيا صوفيا الجديدة واستدعى لهذ الغرض أعظم المهندسين ليضعا رسوم البناء ويشرفا على تشييده.وكان كلا المهندسين اللذين ابتنياها وهما ،انثيميوس الترالى[19] وايسيدور الميليتى[20] من آسيا

[16] جستنيان، وهو ابن فلاح مقدونى، يعتبر من أعظم رجال عصره ثقافة، ويعتبر ذللك شهادة ناصعة لما للعاصمة البزنطيةمن قوة حضارية. وتتجلى عظمة هذا الرجل فى اتساع أغراضه السياسية، وتعدد ميوله ونزعاته.وما حدث فى عصر جستنيان من أعمال فائقة إنما منبعها الإمبراطور ذاته، وما كانت لبزنطة تحلم به من استعادة الإمبراطورية الرومانية، عمل جستنيان على تحقيقه.

السيد الباز العرينى، الدولةالبيزنطية،دارالنهضة العربية،بيروت، ص65

Robert Browning,Justinian andTheodora,op,cit

[17] فتحى الشاعر محمد،السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى،االهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1989م،ص21

[18] واستطاع الإمبراطور إقناع رعيته بأن أهمية البناء تعود إلى حلم راوده وراود آخرين يظهر فيه أحد القديسين ممسكا بطبق فضي،ويحمل عليه رسما لكنيسة "آيا صوفيا" محمود السيد الدغيم،جريدة الحياة، ص،21

[19]انتيموس الترالى أغريقى شرقى ،عهد إليه ببناء كنيسة آيا صوفيا، عرف بالرياضى والمهندس ،وقد اشتغل أبوه وبدعى ستيفن بالطب ، والأرجح ان انتيموس قد درس الحساب والهندسة.وقد توفى حوالى سنة 435م.

الصغرى.[21] وقد طالت مدة بنائه منذ 532 إلى 537م أي خمس سنوات متتالية دون الانتهاء من الزخارف.[22]

تخطيط مبنى آيا صوفيا

ووضع للبناء تصميما تكون مركزه قبة واسعة لا ترتكز على جدران بل على أكتاف ضخمة، وتسندها نصفا قبتين من كلا الجانبين.ووفق المعماريان في الجمع بين الطرز البازليكية[23] والمربع والصليب ،فإن بها صفا طويلا من الأعمدة

أ.دونالد نيكول،معجم التراجم البيزنطية،ص 105، 186

[20] ايزيدوا المليتى مهندس إغريقى شرقى من أهل ملطية،عهد إليه ببناء كنيسة آيا صوفيا مع مهندس الترالى

نورمان ,الامبراطورية البيزنطية تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالاسلام ,تعريب حسين مؤنس,محمود يوسف زايد,ط1,القاهرة,1950,ص234

أ.دونالد نيكول،معجم التراجم البيزنطية،ص 105، 186

[21] نورمان ,الامبراطورية البيزنطية تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالاسلام , ص234

[22] The Chronicle of Theophones Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284–813." Translated by Cyril Mango and Roger Scott. p. 316,

[23] البازيليكى أو الباسلقية،ومعناها القصر الملكى ، والبازيليكا تأخذ في شكلها المعماري مستطيلا مقسم إلي ثلاثة أجزاء وهي:- الصحن المركزي الذي يتوسط المبني وجناحين علي جانبي البهو تفصل بينهما الأعمدة ولها حنية شرقية وبعض البزيليكات لها حنيتين شرقية وغربية، ولها أبواب بعضها يفتح علي ساحة الميدان العام والأخر يضل علي شارع رئيسي بالمدينة، وكانت تغضي بسقف نصف برميلي وتزين بالمنحوتات والثماثيل الجميلة والأرضيات الرخامية والجدران= =المكسوة بالرخام،وكانت تستخدم دورا للقضاء او للتجارة،ثم اطلقت على الكنائس الكبرى المتأخذة من تلك القاعة.

The Oxford Dictionary of Christian Art and Architecture,p117 ،Linda Murray، Peter Murray

يحافظ على الشكل الداخلى البازليكي ،ومع ذلك فعن النسب الخارجية إنما هي في الواقع نسب المربع.[24]والمبنى بناء حجري يحتوي على مفاصل من الطوب والملاط. تتكون فواصل الملاط من مزيج من قطع الرمل والخزف الدقيقة موزعة بالتساوي في جميع أنحاء الفواصل. غالباً ما كان هذا المزيج من الرمل وشظايا الفخار يستخدم في الخرسانة الرومانية.[25]

وقد خط البناء على شكل صليب يونانى طوله 250 قدما وعرضه 225, وقامت القبة الوسطى على المربع (البالغ 100 قدم* 100) والمكون من الضلعين المتقاطعين, وكانت ذروة القبة تعلو عن الأرض 183 قدما. [26] وميزت قبة آيا صوفيا فى دعائمها فهى لا تقوم على بناء دائرى بل على أربطة من أعلاها ,وعلى عقود بين حافتها المستديرة وقاعدتها المربعة.[27]

رنسيمان،الحضارة البيزنطية،ص262

عمران،حضارة اروبا فى العصور الوسطى،ص243

[24] ستيفن رنسيمان،الحضارة البيزنطية ،317

[25] Syrmakezis, K.; Mavrouli, O.; Papaevaggeliou, P.; Aggelakopolulou, E.; Bakolas, A.; Moropoulou, A. (November 2013). "Finite element analysis and fragility curves for the evaluation of restoration mortars behavior regarding the earthquake protection of historic structures". Soil Dynamics and Earthquake Engineering. 54: 61–65

[26] تروث عكاشة،موسوعة الفن البيزنطى،ج11،ص115

[27] فقد كان الفن البيزنطى يحتقر الثقل الجامد الذى توحيه الكتل الجامدة, فقد حاول ان يوجد نوعا جديدا من التوازن في الأبنية عن طريق معادلة الضغوط التى تحدثها أجزاء البناء بعضها ببعض.

نورمان,الامبرطورية البيزنطية,235

ويمكن القول كنيسة أيا صوفيا جمعت العديد من الأفكار المعمارية التي كانت موجودة في ذلك الوقت بل هي تعتبر قمة المعمار البيزنطى في مجال البازيليكات. فالكنيسة مستطيلة الشكل على الطراز البازيليكى بالإضافة إلى وجود القبة في المنتصف على جزء مربع ، ويتقدم المبنى أتريوم Attrium[28] ضخم أمامي المحاط بالارواقة من الثلاثة جوانب ثم الـــ Natthex [29]والـــ Esonarthex ثم الصالة الرئيسية Nave والصالات الجانبية Aisles، ترسو فوق الصالة الرئيسية القبة الضخمة التي تستند على مبنى مربع سفلى، أو كانه عبارة عن دعامات ضخمة

[28] الأتريوم:مصطلح يونانى الاصل عبربه عن الفناء المربع (غالبا) والمحاط بالبائكات فى الجهات الاربع اوثلاث منها فقط والذى كان يتقدم المدخل الرئيسى للكنائس وتاخذ هذه الإحاطة شكل ظلة محمولة على بائكات الأعمدة فى كل جهة.وقد يكون الاتريوم مفتوحا من الخارج أو يشرف عليه من خلال جدار.وتوجد أحيانا حواجز خشبية تفصل بين الفناء وظلات الاتريوم من الداخل.وقد يشيد من طابق واحد أو من طابقين. واوضح امثلته فى الكنائس البيزنطية ما نجده منبى فى آيا صوفيا.

أشرف سيد محمد،دراسة أثرية معمارية لمجموعة مصطلحات معمارية كنائسية غير معربة،دراسات فى آثار الوطن العربى،العدد11،ص787

[29] مجاز الكنيسة أو النارتكس (بالاتينية: Narthex) هو عنصر معماري نموذجي في عمارة وفن مسيحي مبكر والبيزنطية يكون في الكنائس والبازيليكات، وهو يتكون من منطقة المدخل أو اللوبي ويقع في الطرف الغربي من الصحن مقابل مذبح الكنيسة الرئيسي. تقليدياً، كان المجاز جزءاً من مبنى الكنيسة، لكنه لم يكن جزءاً من الكنيسة نفسها.يشير البعض إلى النارتكس على أنه في= =الطرف الغربي من تصميم الأرضية. يتم ذلك لأسباب رمزية، كما يقول العهد الجديد للبحث عن المسيح انظر إلى الشرق، وبالتالي فإن موقع المذبح يعرف بالشرق الليتورجي

تحمل فوقها عقود كبيرة تحصر بينهما (Pendentives) المثلثات[30] التي تحمل قاعدة القبة. وتستند القبة من الشرق والغرب على انصاف قباب ضخمة وترسو بدورها على عقود ودعامات سفلية تخفف الضغط على الحوائط، القبة من الخارج مغطاه بطبقة من الرصاص لحمايتها من العوامل الجوية، و تفتح في اسفلها 40نافذة للاضاءة . تقع الحنية في الشرق وهي مضلعة الشكل في حين ان المعمودية في الجنوب.فكانت آيا صوفيا تمثل ذروة الإنجاز المعماري في العصور القديمة المتأخرة وأول تحفة معمارية بيزنطية.[31]

---

[30] الحنية الكروية أو المثلث الكروي هي إحدى الحلول الإنشائية التي ينتقل فيها التصميم من المربع إلى الدائرة وتحديداً في القباب ذات القطع الناقص. تتخذ الحنية الكروية شكلاً مثلثًا كرويا يربط بإحدى نقاطه المنطقة السفلية من جهة ويتسع عند طرف القبة بالمنطقة العلوية من جهة أخرى. يتركز وزن القبة على الحنيات الكروية في الزوايا الأربع حيث يمكن أن يتوزع على الدعامات أسفلها. اما عن أصل المثلثات الكروية وابتكارها فقد تناوله كثير من العلماء والباحثين وعلى رأسهم(كريزول)الذى عقد فصلاً كبيراً استعرض فيه المراحل المخلفة لنشأة وتطور القباب المقامة على مثلثات كروية فى مختلف الأقاليم الشرقية والغربية

وذكر كريزول ان أقدم مثال للمثلثات الكروية يوجد فى قصر النويجس عمان وأرجعه الى نهاية ق3م حيث شاع استخدامه فى سوريا وفلسطين.

Creswell ,Early Muslim Architecture,vol,1,pp,450-471

[31] مثلت قبة آيا صوفيا بضخامتها وارتفاعها الشاهق تحدياً حضارياً للعثمانيين حيث أخذ المعماريون هذا التحدى مأخذ الجد وكان هدفهم ليس تقليد آيا صوفيا بل التفوق عليها,ومن هذا المنطلق اتخذوا من القبة المركزي رمزاً للدولة العثمانية والإسلام حيث اعتبر المسجد هو الرمز الحى للإسلام الذى تسعى الدولة لنشره كدين,وتمثل القبة المركزية بالمسجد الدولة بينما تمثل القباب الأصغر الأقاليم والولايات التابعة لها

نادر عبد الدايم,التأثيرات العقائدية فى الفن العثمانى,رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الآثار,جامعة القاهرة,1990م,ص166

واستخدم فى العمل عشرة آلاف عامل, وأنفق عليه 320.000 رطل من الذهب وهو كل ما كان فى خزانة الدولة, وأمر حكام الولايات بان يبعثوا إلى الكنيسة الجديدة بأجمل ما بقى من المخلفات القديمة, وجلبت الأعمدة من جميع أنحاء الإمبراطورية، والمناطق التابعة لها في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط. بينما قيل لاحقًا أن هذه الأعمدة غنائم قد جلبت من مدن مثل روما .[32]وجيء بعشرات الأنواع والألوان من الرخام من مختلف الأقطار وصبت في النقوش والزينات مقادير هائلة من الذهب,والفضة،والعاج,والحجارة الكريمة.[33]

واشتراك جستنيان نفسه اشتراكا عمليا فى تخطيط البناء وإقامته، وقد تم بناء الصرح العظيم فى خمس سنين وعشرة أشهر. [34]وفى اليوم السادس والعشرين من شهر ديسمبر من عام 537م أقبل الإمبراطور والبطريرك ميناس يتقدمان موكبا مهيبا لافتتاح الكنيسة المتلألئة الفخمة .ورفع جستنيان يده الى السماء ونادى قائلا:(المجد لله الذى رآنى خليقا بأن أتم هذا العمل الجليل! اى سليمان! لقد انتصرت عليك!).[35]

---

[32] Krautheimer, Richard. Early Christian and Byzantine Architecture (London: Yale University Press/Pelican History of Art ,1986,p205

[33] نادية محمود فرحان،آيا صوفيا رمز من رموز التلاقح الحضارى الانسانى (الشرقى– الغربى) فى عهد جستنيان الاول (565–537م)،مجلة جامعة بابل ،المجلد 25،العدد2017،ص2814

[34]حسن الباشا ,موسوعة العمارة والفنون الإسلامية,جـــ2,ص70

[35] ول وايريل ديورانت,قصة الحضارة, ترجمة محمد بدران12المجلد الرابع–ج1,عصر الإيمان,ص263

Janin, Raymond). Constantinople Byzantine (Paris: Institut Français d'Etudes Byzantines,1995,p41

وكان يربط بين الكنيسة وبين القصر الامبراطورى رواق خشبى يرتاده الإمبراطور وحاشيته عند الذهاب إليها للصلاة أو الاحتفالات.[36] وكان يدخل الإمبراطور الكنيسة من الباب الإمبراطورى ،واستخدم الباب الإمبراطوري من قبل الإمبراطور وعائلته فقط بالإضافة إلى حارسه الشخصي وحاشيته، وهو أكبر باب في آيا صوفيا ويعود تاريخه إلى القرن السادس. وبلغ طوله حوالي 7 أمتار وتذكر بعض المصادر إنه مصنوع من خشب من سفينة نوح. يقع باب الرخام داخل آيا صوفيا في الرواق العلوى الجنوبي. وكان يستخدمه المشاركون في السينودس،[37] لدخول ومغادرة غرفة الاجتماعات الرسمية والقرارات المهمة لمسؤولي البطريركية.[38]

---

[36] Cameron.A,Procopias and the Church of S.Sophia, The Harvaed Theoological Review 58,Cambrldge,Mass,1965,PP.161-163

[37] المعنى الحرفي لكلمة "سينودس" المشتقة من كلمتين يونانيتين، هما "سين "-synأي "معاً"، و"هودس "-hodos أي "طريق"، هو "السير سوية". فالسينودس هو لقاء أو اجتماع ديني بين الأساقفة الملتفين حول البابا، وفيه يتفاعلون مع بعضهم البعض، ويتقاسمون المعلومات والخبرات في سعيٍ حثيث للوصول إلى الحلول المشتركة للتعامل مع مسائل الإيمان والأخلاق والطقوس، وانتخاب الاساقفة والحياة الكنسية والثقافية بشكل عام، يمكن تعريف السينودس بأنه اجتماع الأساقفة الممثّلين للأسقفية وغالباً ما تشير الكلمة إلى الهيئة الإدارية لكنيسة معينة ، سواء كان أعضاؤها يجتمعون أم لا فتشير كلمة سينودس أيضاً إلى المجلس الدائم للأساقفة رفيعي المستوى الذي يحكم بعض الكنائس الأرثوذكسية الشرقية المستقلة .

https://www.vatican.va/news_services/press/documentazione/documents/sinodo/sinodo_documentazione-generale_ar.html

[38] Janin Raymond, Constantinople Byzantine,Institute Francais d Etudes Byzantines,Paris,p41

زخارف آيا صوفيا

أهم ما يلاحظ على الطراز البيزنطي، أن الفنانين قد اعتمدوا في أحيان كثيرة، على التغالي في التكوينات المعمارية والزخرفية، من حيث الأحجام والزينة والألوان واستعمال المواد الغالية والإسراف في التذهيب

كانت أرضية آيا صوفيا وجدرانها من المرمر المتعدد الألوان :أبيض ،واخضر ،واحمر، واصفر، وأرجوانى، وذهبى تتكون الأرضية في الغالب من رخام بروكونيزي، [39]وجد في جزيرة مرمرة .كان هذا هو الرخام الأبيض الرئيسي المستخدم في آثار القسطنطينية. تم جلب أجزاء أخرى من الأرضية من ثيساليا في اليونان الرومانية: "الرخام" الأخضر الثيسالي العتيق. غالبًا ما كانت النطاقات العتيقة بالرخام الثيسالي الأخضر عبر أرضية الصحن تشبه الأنهار.[40]

وكانت تيجان العمد والعقود وما بينهما، والأفاريز، مغطاة بنقوش على الحجارة مكونة من أوراق الأكنثوس والكرم. ولوحات الفسيفساء على الجدران والقبة لا مثيل لروعتها وسعتها. وكان المذبح ذهبى اللون مصنوع من الرخام النادر الوجود وعليه الأوانى المقدسة من الفضة والذهب ، والمنبر المرصع بالعاج والفضة والحجارة

[39] يعود تاريخ الأرضية الحجرية لآيا صوفيا إلى القرن السادس. بعد الانهيار الأول للقبو، تركت القبة المكسورة "في مكانها" على أرضية جستنيان الأصلية ووضعت أرضية جديدة فوق الأنقاض عندما أعيد بناء القبة عام 558

Dark, Ken R.; Kostenec, Jan (2019). Hagia Sophia in Context: An Archaeological Re-examination of the Cathedral of Byzantine Constantinople (Oxford: Oxbow Books.p69-72

[40] Majeska, George P. (1978). "Notes on the Archeology of St. Sophia at Constantinople: The Green Marble Bands on the Floor". Dumbarton Oaks Papers. 32: 299–308

الكريمة، وعرش البطريك المصنوع من الفضة المصمت، والسجف المنسوجة من خيوط الحرير والفضة، والتى ترتفع فوق المذبح وعليها صورتا الإمبراطور والإمبراطورة تتلقيان بركات السيد المسيح والسيدة مريم[41]

فسيفساء آيا صوفيا

حرص أصحاب الكنيسة الشرقية على استبعاد التماثيل خشية ارتداد البعض والعودة إلى الأوثان، فاستعاضوا عن التماثيل المجسمة بصور القديسين والشهداء سواء عن طريق التصوير الجداري (الفريسك) او الفسيفساء . وقد بلغت فسيفساء الجدران والقباب قمة ازدهارها في العصر البيزنطي. واستخدمت هذه التقنية في نقل الرسالة الدينية. وكانت لابد ان تعبر تعبيرا صادقا عن العقيدة، وان يشكل اختيارها وانتقاء مواقعها تفسيرا تصويريا للشعائر الدينية وما ترمز إليه الطقوس، كما كان ينبغي أن تتوافق مع رمزية التشكيل المعماري للكنيسة.

استخدمت الفسيفساء فى الفن البيزنطى وكانت الموضوعات المستخدمة ذات طابع دينى بحت لعدة أهداف منها

- جعل الكنائس لا تقل بهاء ولا ثراء عن المعابد الوثنية
- ولتعميق التعاليم الدينية بالديانة المسيحية عن طريق وضع الصور المختلفة المأخوذة سواء من التوراه (العهد القديم) أو الانجيل(العهد الجديد)

---

[41] ول وايريل ديورانت,قصة الحضارة, ترجمة محمد بدران12المجلد الرابع–ج1,عصر الإيمان,ص263

The Chronicle of Theophones Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284–813. Translated with commentary by Cyril Mango and Roger Scott. AM 6030 p. 316

في بداية المسيحية كان هناك نظرة للفن على انه من أسس الوثنية وحين أصبحت المسيحية ذات صلة وثيقة بالسلطة ،أصبح الفن المسيحى هو الفن الرسمي للدولة .وغلب على عمارة الشرق الإحساس بالمسطحات كان الاحساس بالتجسيم يغلب على عمارة الغرب ،ومن ثم كان انتشار لوحات الفسيفساء والكسوات الرخامية في الطراز البيزنطى

فقد كسيت ارضيات آيا صوفيا بفسيفساء الرخام من مختلف الرسوم والألوان بينما غشيت القباب والقبوات بفسيفساء الزجاج الملون الذى يمثل صور الملائكة والقديسين على خلفية ذهبية مرتبة جميعها وفق درجة أهميتها.[42]

وكان على هذه التصاوير في بيزنطة والأقاليم الواقعة تحت نفوذها أن تعبر تعبيرا صادقا عن العقيدة ،وان يشكل اختيارها وانتقاء مواقعها تفسيرا تصويريا للشعائر الدينية وما ترمزإليه الطقوس،كما كان ينبغي أن تتوافق مع رمزية التشكيل المعمارى للكنيسة.ووفقا لأحد هذه التفسيرات كانت الكنيسة هي بيت الرب تمثل الفردوس الأرضى ،وكان المسيح يصور داخل القبة المركزية تحيط به حشود من الملائكة. على حين تصور مجموعة الأنبياء والرسل والشهداء والأساقفة على القبوات وأعالى الجدران. وإلى هؤلاء تضاف فوق الحنية صورة العذراء التي كانت لها قدسية أعلى من قدسية السرافيم (ملائكة الطبقة الاولى حراس عرش الله في المعتقد اليهودى القديم)لانها هي التي حملت (كلمة الله) وكان هذا الطراز من الزخارف بالغ التحفظ.[43]

[42] ثروت عكاشة،الفن البيزنطى،ص115

[43] ثروت عكاشة،الفن البيزنطى،ص216

واخذ الفن البيزنطى يقص في نقوش الفسيفساء ورسوم الجدران حياة المسيح وأحزان مريم،واعمال الرسل أو الشهداء الذين تضم الكنائس عظامهم ، وعمل على خطف الابصار بالمناظر الزاهية الكثيرة الألوان ،وانتهى امره بان صور السيد المسيح والسيدة مريم في صورتى إمبراطور وملكة . [44]

وكان هناك اتجاه بتحويل صور الامبراطور ليجعلوا منها ايقونة دينية. ومما زاد هذا الاتجاه قوة إيمانهم بأن ثمة صلة وثيقة بين الامبراطورية دولة والمسيحية عقيدة ,ومن هنا كانت مرتبة الامبراطور تلى مرتبة المسيح.ونرى على مدخل آيا صوفيا الامبراطور ليون السادس ساجدا مؤديا حركة(البروسكينيسيس proskynesis) امام المسيح وهى لون من ألوان التبجيل يكون بين يدى الامبراطور او صورته ثم أصبحت تؤدى بعد ذلك امام صورة المسيح،وتكون بالوقوع على الركب وإلصاق الجبين بالأرض ضراعة.وهكذا نرى الامبراطور يؤدى هذه الحركة أمام المسيح الجالس على عرشه ملتمسا بركة المسيح الذى يمثل الحكمة المقدسة.ولم تفقد الهيبة الإمبراطورية جلالها بخشوعها أمام المسيح ،هذا لاعتقاد ان الامبراطور هو حلقة الاتصال بين الله والامبراطورية.[45]وتعود الفسيفساء الأولى التي تزين الكنيسة إلى عهد جاستن الثاني. [46]حيث تعود العديد من الفسيفساء غير التصويرية

---

[44] ول وايريل ديورانت,قصة الحضارة, ترجمة محمد بدران12المجلد الرابع-ج1,عصر الإيمان,ص259

45 https://www.turkeyturs.com/%D8%A2%D9%8A%D8%A7-%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B3%D9%8A%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%A1/

[46] جاستين الثانى، إمبراطور بيزنطة. حكم منذ 565 م حتى 578م، وكان ابن أخ الإمبراطور السابق له جستينيان الأول

في الكنيسة لتلك الفترة. ومع ذلك، فمعظم الفسيفساء الحالية تعود إلى القرنين العاشر والثاني عشر، عقب فترات تحطيم الأيقونات البيزنطية.[47]

خلال الحملة الصليبية الرابعة في العام 1204م، هاجم الصليبيون اللاتينيون الكاتدرائية . في خضم هذه الأحداث، أُزيلت أعداد كبيرة من الفسيفساء الجميلة ثم شُحِنت إلى مدينة البندقية.[48]وفي العام 1453 م، بعد الفتح العثماني للقسطنطينية وتحويل "آيا صوفيا" إلى مسجد، تمت تغطية الفسيفساء بالكلس والجص. ثم كشِف

[47] N., Patricios, Nicholas The sacred architecture of Byzantium : art, liturgy and symbolism in early Christian churches. London,2014

[48] الحملة الصليبية الرابعة دعا إليها البابا أنوسنت الثالث؛ لاستعادة بيت المقدس من المسلمين الذين استردوه فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة حطين 583هـ/ 1187م، وفشلت الحملة الصليبية الثالثة فى استعادته، تلك الحملة التي قادها أشهر ملوك أوروبا، وهم ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وفيليب أغسطس ملك فرنسا، وفردريك باربا روسا ملك ألمانيا، ولكن مساعيهم باءت بالفشل فانسحبوا بعد توقيع صلح الرملة مع صلاح الدين الأيوبى عام 588هـ/ 1192م. الحملة الصليبية الرابعة التي جعلت وجهتها غزو مصر لإجبار الدولة الأيوبية على تسليم القدس فشلت فى مسعاها، حيث انحرف مسار أسطول الحملة فى البحر إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، وقام الصليبيون بمحاصرتها، ونهب ثرواتها لثلاثة أيام، جردت فيها عاصمة الإمبراطورية من كنوزها ومدخراتها، وتدخل الصليبيون فى الصراع حول عرش الإمبراطورية البيزنطية، التى انقسمت إلى ثلاث إمبراطوريات هى: نيقية، وطرابزون وإيبروس محمد العروسى المطوى،الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب،دار الغرب الإسلامى، 1982ص101-105

إسمت غنيم،الحملة الصليبية الرابعة ومسؤلية إنحرافها ضد القسطنطينية ،دار المعارف،1982،ص93-95

إسماعيل قان ديمير، آيا صوفيا المعبد العظيم، إستانبول، 2004،ص18

النقاب عنها في العام 1847م، حين أعاد الأخوان فوساتي ترميم الموقع.[49]نسخ هذان المهندسان المعماريان السويسريان تلك الفسيفساء للاحتفاظ بها في سجلاتهما قبل تغطيتها مجدداً. ثم بقيت خفية حتى العام 1931م، عندما أطلق العالم والمهندس المعماري الأميركي توماس ويتيمور برنامجاً لاسترجاعها.[50]إنطلقت هذه الجهود قبل ثلاث سنوات على صدور المرسوم الذي حول آيا صوفيا إلى متحف.ولكن قبل تحويل الموقع إلى متحف، ساعد الأميركي، توماس وايتمور،(الذي أسس المعهد البيزنطي، وهي منظمة متخصصة في دراسة وترميم وحفظ الفن والعمارة البيزنطية، بتنفيذ مشروع الترميم في آيا صوفيا في ديسمبر 1931م) في الكشف عن جمال لوحات الفسيفساء وقام بترميمها.[51]

[49] الأخوان فوساتي ، غاسباري وجوزيبي مهندسين معماريين سويسريين. أكملوا أكثر من 50 مشروعاً في تركيا عام 1847 م، عينهم السلطان عبد المجيد لتجديد آيا صوفيا . أكملوا الترميم في غضون عامين ، باستخدام أكثر من ثمانمائة عامل. لقد تمكنوا من توثيق عدد أكبر من الفسيفساء البيزنطية التي لم يتم توثيق موقعها الدقيق داخل آيا صوفيا. وتم الاحتفاظ برسومات فسيفساء آيا صوفيا في أرشيف كانتون تيسينو.في المكتبات السويسرية.

50 https://www.nidaalwatan.com/article/25691-%D9%81%D8%B3%D9%8A%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%A1-%D8%A2%D9%8A%D8%A7-%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D8%A7%D8%B1

51 https://ahvalnews.com/ar/waytmwr-amyrky-aad-trmym-fsyfsa-aya-swfya/aya-swfya

الخاتمة

تعد آيا صوفيا أهم الاثار الموروثة للعهد البيزنطي ، بل تعد بداية الطراز المعماري البيزنطي وخاتمته في أن واحد. عام 395م انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى قسمين، الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما ،و الامبراطورية الرومانية الشرقية(التى سميت بالإمبراطورية البيزنطية) نسبة الى بيزنطة عندما خص الامبراطور قسطنطين الأعظم بيزنطة (القسطنطينية) لتكون عاصمة الإمبراطورية الرومانية

نجد إن الإمبراطورية الغربية اتخذت نظام البازيليكا فى بناء الكنائس بينما الإمبراطورية الشرقية اتخذت نظام القباب الذى هو نتاج للتأثير الشرقى حيث كانت القباب هى المستعملة للتسقيف فى العصور المتقدمة عند الفرس. كما مثلت الفن البيزنطي في جميع أشكاله تقريباً فالطراز البيزنطي مشتق من امتزاج الفنون الرومانية التي اصطبغت بالصبغة المسيحية بفنون الأقاليم الواقعة شرقي البحر المتوسط.وكان الفن البيزنطي بجوهره فناً دينياً. واتخذ لنفسه أسلوبا خاصا في بناء القباب والعقود المقوسة التي تزينها الفسيفساء والزخرفة القائمة على الرخام متعدد الألوان. فكانت آيا صوفيا تمثل ذروة الإنجاز المعماري في العصور القديمة المتأخرة وأول تحفة معمارية بيزنطية

كان الموضوع الأساسي للفن البيزنطي دينياً وإمبراطورياً في المقام الأول، وغالباً ما جُمع بين الموضوعين كما هو الحال في صور الأباطرة

البيزنطيين التي زينت كنيسة آيا صوفيا من الداخل ومن هنا كان سر الجمع بين فنى العمارة والتصوير للتعبير عن الفكر الديني ومن أهم ما يلاحظ على الطراز البيزنطي، أن الفنانين قد اعتمدوا في أحيان كثيرة، على التغالي في التكوينات المعمارية والزخرفية، من حيث الأحجام والزينة والألوان واستعمال المواد الغالية والإسراف في التذهيب.

يمكن القول ان تاريخ آيا صوفيا والقسطنطينية و المسيحية الأرثوذكسية– اليونانية واحد منذ البدء،فكانت آيا صوفيا أهم مبنى في العالم المسيحي الشرقي مقر البطريرك الأرثوذكسي، نظيراً للبابا الروماني الكاثوليكي،والكنيسة المركزية للأباطرة البيزنطيين، كانت تجري فيها مراسم تتويج الأباطرة.وظلّت آيا صوفيا أكبر كاتدرائية مسيحية في العالم لما يقرب من ألف عام حتى بناء كاتدرائية إشبيلية في عام 1520م.مثلت آيا صوفيا الكنيسة الرومانية الشرقية الأرثوذكسية المناهضة للكنيسة الكاثوليكية الغربية فى الفاتيكان ،وذلك بعد الانشقاق الميسحى الكبير عام 1054 م .وبدا التنافس بين الكنيستين الشرقية والغربية مما اعطى ايا صوفيا المزيد من الاهتمام البيزنطى اذا اصبحت رمزا مقدسا بالنسبة للروم الارثوذكس بكل معنى الكلمة.

المصادر والمراجع العربية

-ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم),رحلة ابن بطوطة, سلسة أدب الرحلات, بيروت, دار التراث,1968م

-ابن بطوطة تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار، (طبعة اكاديمية المملكة المغربية-الرباط-1417هـ/1997م

- ابن تيمية (ابن العباس تقى الدين), مسألة فى الكنائس ,ط1,مكتبة العكيبات, الرياض, المملكة العربية السعودية 1416هـ

-أسد رستم، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب،ج1،بيروت،1955م

-أشرف صالح محمد السيد،تاريخ وحضارة أوروبا في العصور الوسطى،شركة الكتاب العربى الإلكترونى،لبنان،2008م

-إسماعيل قان ديمير، آيا صوفيا المعبد العظيم، إستانبول، 2004م

إسمت غنيم،الحملة الصليبية الرابعة ومسؤلية إنحرافها ضد القسطنطينية ،دار المعارف،1982م

- السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية،القاهرة،1960م

-ثروت عكاشة، موسوعة تاريخ الفن العين تسمع والاذن ترى ،الجزء11، الفن البيزنطى،دار سعاد الصباح،الكويت،الطبعة الأولى ،1993م

-جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية،1984م

-قبيل فارس المالكى، تاريخ العمارة عبر العصور،دار المناهج للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى،عمان،الأردن،2007م

-محمد العروسى المطوين، الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامى،1982م

محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها،دار النهضة العربية،بيروت،2002م

-محمود سعيد عمران،معالم تأريخ الإمبراطورية البيزنطية،بيروت،1981م

-نورمان ,الامبراطورية البيزنطية تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالإسلام ,تعريب حسين مؤنس, محمود يوسف زايد,ط1,القاهرة,1950م

- ول وايريل ديورانت,قصة الحضارة, ترجمة محمد بدران12المجلد الرابع-ج1,عصر الإيمان

بودانة وليد،جوانب دينية بمدينة القسطنطينية من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب،مجلة تاريخ العلوم ،العدد الخامس،جامعة الجزائر،2016م

- سيد على إسماعيل، آيا صوفيا.. الكنيسة..المسجد..المتحف،مجلة التراث الإماراتية،العدد131،يوليو 2010م

-طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية 1096 - 1204 م :دراسة تحليلية للرؤى الصليبية لمدينة القسطنطينية، مجلة المؤرخ المصري،كلية الآداب،جامعة القاهرة،العدد29، يناير2006م

-صبرى أبو الخير سليم،الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 1987م

-نادية محمود فرحان،آيا صوفيا رمز من رموز التلاقح الحضارى الانسانى (الشرقى- الغربى) فى عهد جستنيان الاول (565-537م)،مجلة جامعة بابل ،المجلد 25،العدد2017

-نجلاء حسين محمد، كنيسة آيا صوفيا ومراسم صلاة الإمبراطور البيزنطى من خلال المصادر العربية، مجلة العلمية لكلية الآداب، كلية الآداب، جامعة أسيوط،،العدد52،أكتوبر2014م

المراجع الأجنبية

-A.Cameron (1978) "The Theotokos in Sixth-Century Constantinople".

-A.Cameron-(Cambridge,Mass.1965) "Procopius and the Church of St.Sophia" The Harvad theological

-A.Vasiliev (1952) History of the Byzantine Empire

Baynes؛ Moss (1948) ، Byzantium: An Introduction to East Roman Civilization ،Oxford, United Kingdom: Clarendon Press
Bury, John Bagnell (1920) ، The Early History of the Slavonic Settlements in Dalmatia, Croatia, & Serbia – Constantine Porphyrogennetos, De Administrando Imperio, Chapters 29–36 ، New York: Macmillan
Bury, John Bagnell (2005) ، A History of the Later Roman Empire from Arcadius to Irene (395 A.D. -800 A.D.)
Choniates, Nicetas (1912) ، "The Sack of Constantinople (1204)" ، Translations and Reprints from the Original Sources of European History by D.C. Munro (Series 1, Vol 3:1) ،Philadelphia: University of Pennsylvania Press
Binns, John (2002), An Introduction to the Christian Orthodox Churches. Cambridge University Press

- Boyran, Ebru; Fleet, Kate (2010) A social History of Ottoman Istanbul. Cambridge: Cambridge University Press
Dark, Ken R.; Kostenec, (2019). Hagia Sophia in Context: An Archaeological Re-examination of the Cathedral of Byzantine Constantinople (Oxford) Oxbow Books.

Eversly, Lord (1924) The Turkish Empire,London.-

-Gibbons, Edward (1914). The History of the Decline and fall of the Roman Empire, London.

Mainstone, Rowland J. Hagia Sophia: Architecture, Structure and Liturgy of Justinian's Great Church.

-Thomas Graham Jackson(1913), Bazantine and Romanesque Architecture, Cambridge University Press.

الأشكال

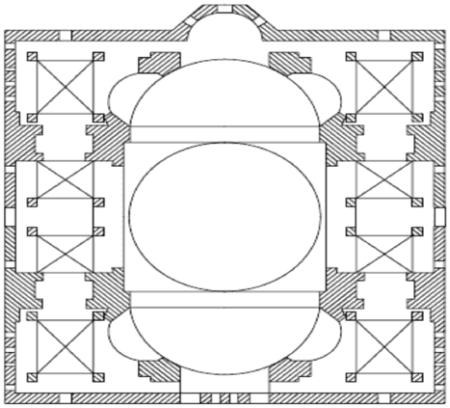

(شكل رقم1)

مسقط أفقى لتخطيط مبنى آيا صوفيا

https://www.researchgate.net/figure/Plan-view-of-Hagia-Sophia__

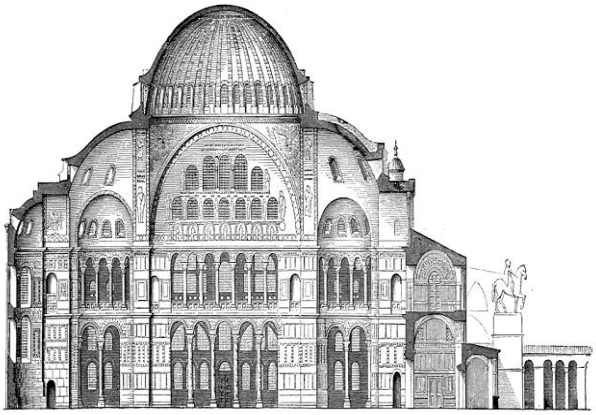

(شكل رقم2)

مقطع راسى لمبنى لآيا صوفيا

http://creative-architecture96.blogspot.com/2016/08/Aya-Sofya-Mosque.html

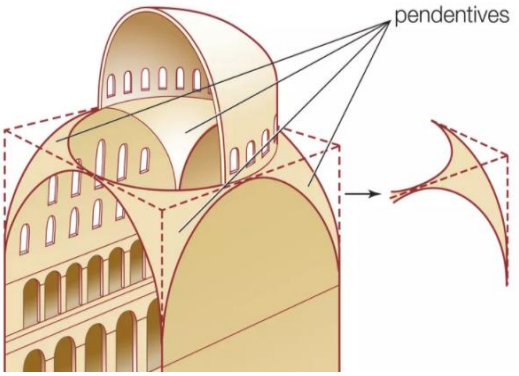

(شكل رقم2) رسمى توضيحى لقبة آيا صوفيا والمثلثات الكروية
https://www.thoughtco.com/what-is-a-pendentive-dome-177310

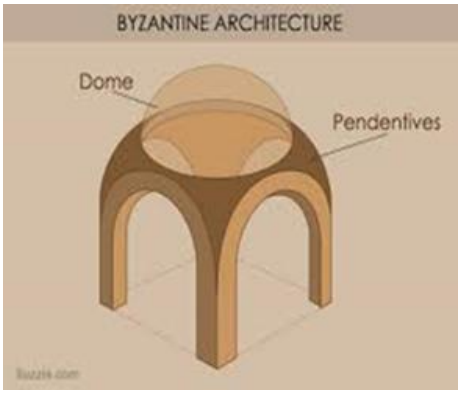

شكل رقم(4) قبة آيا صوفيا والمثلثات الكروية
6,p2015Jerry Tse,Hagia Sophia,London,

اللوحات

لوحةرقم(1) منظر عام لآيا صوفيا على الضفة الأوروبية في مدينة إسطنبول
/Aya-Sofya-Mosque.html08/2016.blogspot.com/96http://creative-architecture

لوحة رقم(2)الوجهه الغربية لكنيسة ثيودوسيوس الثاني 415-532

https://hagiasophiaturkey.com/remains-in-the-garden/#group-1

لوحة رقم(3) نقوش تصور 12 خاروفًا يمثلون رسل المسيح الاثنا عشر من بقايا كنيسة ثيودوسيوس الثاني415م

https://hagiasophiaturkey.com/remains-in-the-garden/#group-5

لوحة رقم(4) باطن قبة آيا صوفيا

https://hagiasophiaturkey.com/the-seraphim-mosaic/

لوحة رقم (5) البوابة الإمبراطورية

https://hagiasophiaturkey.com/mosaic-leo-vi/

لوحة رقم (6) فسيفساء البوابة الإمبراطورية

https://hagiasophiaturkey.com/mosaic-leo-vi

لوحة رقم(7) الباب الرخامى بآيا صوفيا ويقع في الرواق الجنوبي العلوي وكان يستخدم من قبل الكهنة لدخولهم القاعة لعقد اجتماعاتهم الدينية
https://www.hagiasophia.com

لوحة رقم (8) الجانب الغربى من الرواق العلوى

https://hagiasophiaturkey.com/empress-lodge/

لوحة رقم(9) آيا صوفيا

http://creative-architecture96.blogspot.com/2016/08/Aya-Sofya-Mosque.html

لوحةرقم(10) توماس وايتمور ديسمبر 1931 اثناء الكشف عن لوحات الفسيفساء وترميمها.

https://ahvalnews.com/ar/waytmwr-amyrky-aad-trmym-fsyfsa-aya-swfya/aya-swfya

لوحة رقم (11) فسيفساء الحنية بآيا صوفيا

فسيفساء العذراء والطفل

على الرغم من أن جميع الفسيفساء قد صنعت بعد فترة تحطيم الأيقونات ، إلا أنها أقدم فسيفساء من آيا صوفيا

https://hagiasophiaturkey.com/virgin-child-mosaic

لوحة رقم(12) فسيفساء الإمبراطورة زوي بآيا صوفيا

https://turktt.com/%D9%81%D8%B3%D9%8A%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%A1-%D8%A2%D9%8A%D8%A7-%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A7/

لوحة رقم(13) الرواق الداخلى لآياصوفيا

https://hagiasophiaturkey.com/narthexes/

لوحة رقم (12) الرواق الخارجى لآياصوفيا
https://hagiasophiaturkey.com/narthexes/

لوحة رقم(13)فسيفساء الملاك بعد الكشف عنها في عام

2009
https://hagiasophiaturkey.com/the-seraphim-mosaic/

لوحة رقم(14) فسيفساء المدخل الجنوبي الغربي

ويقدم فيها الامبراطور جستنيان للسيدة العذراء والسيد المسيح نموذج معماريا لآيا صوفيا بينما يقدم الامبراطور (قسطنطين الأكبر) مدينة القسطنطينية لهما

https://hagiasophiaturkey.com/the-vestibule-mosaic/